مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية

المجلد 10 / العدد: 02 (2021)، ص 185-203

الأنتروبولوجيا البنيوية وتفكيك وهم تفوق العقل الغربي

Structural Anthropology and Deconstruction of Western illusionist mind

د/ خيرة بورنان* dr. Kheira Bourenane

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة الجزائر khiera.bouranane@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2019/11/22 تاريخ القبول: 2020/01/21 تاريخ النشر 2021/01/16

الملخص:

من الأوهام التي شكلت الهوية الثقافية للغرب وهم تفوق العقل الغربي، وأنه آخر ما وصل إليه العقل الإنساني عبر مراحل تطوره المتعاقبة. وترجع أصول هذا الوهم إلى ما يعرف تاريخيا بالمعجزة اليونانية، التي تعني أن الحضارة اليونانية وتحديدا الفلسفة وصنوها العلم نتاج خالص للعبقرية اليونانية، غير قابل للرد إلى أصول أخرى سابقة عليه. وهكذا ومنذ عصر الحداثة، بدأ الفكر الغربي والأوروبي منه على وجه التخصيص ينظر إلى ذاته على أنه حامل رسالة التقدم والأنوار، وأن المضي قدما لن يتحقق ما لم يؤمن العقل الغربي بأنه المخول الوحيد لاستئناف الحضارة؛ فأوروبا هي الوريث الشرعي للعلم المتحدر من الهيلينية. وإذ يقدم العقل الغربي ذاته أو أناه بوصفه المحور الذي تدور حوله كل القيم فإنه بالمقابل يتصور آخرا متأخرا بدائيا ومتوحشا. لكن الفكر الغربي المعاصر في صورته المابعد ـ حداثية كشف على نحو جلي الوجه السالب للحداثة الغربية، وأعلن عبر خطاباته المختلفة عن أفول المحورية القومية، ومن خلال مناهجه المتعددة عمل على تفكيك أسس هذا الادعاء وبيان تهافت منطلقاته والاقرار بأن المكون الإيديولوجي وليس الدافع العلمي هو من يقف وراء هذا الادعاء.

الكلمات المفتاحية: الغرب، وهم، الأنتروبولوجيا البنيوية، البدائي.

*د.خيرة بورنان،: khiera.bouranane@univ-msila.dz

Abstract:
One of the delusions that shaped the cultural identity of the West is the superiority of its mind, as it is the last thing the human mind has achieved through its successive stages of development. The origins of this delusion go back to what is historically called the Greek miracle, which means that Greek civilization and especially philosophy and science are a pure product of Greek's great intelligence, that are not referable to other earlier origins. Thus, since the era of modernity, Western and European thought, in particular, has begun to view itself as the bearer of the message of progress and that the way forward would only be possible if the Western mind believed that it is the only responsible to resume civilization. By presenting the Western mind as the axis which all values are articulated around, it represents in contrast another primitive, brutal late vision. However, contemporary Western thought in its Postmodernism image, has clearly revealed the negative face of Western modernity. Postmodernism declared through its different speeches the collapse of Pivot of Nationalism, theory of Deconstruction where the basis of this pretension was deconstructed. It also showed the decline of its premises and acknowledged that the ideological component, not the scientific motivation, was the origin of this statement.

Keywords: The West, delusion, structural anthropology, primitive.

مقدمة:

من الأوهام التي شكلت الهوية الثقافية للغرب وهم تفوق العقل الغربي، وأنه آخر ما وصل إليه العقل الإنساني عبر مراحل تطوره المتعاقبة.وترجع أصول هذا الوهم أو ما يصطلح عليه بالمحورية الغربية أي كون الغرب محورا ومركزا تدور حوله كل الدوائر إلى ما يعرف تاريخيا بالمعجزة اليونانية التي تعني أن الحضارة اليونانية والفلسفة وصنوها العلم نتاج خالص للعبقرية اليونانية، غير قابل للرد إلى أصول أخرى سابقة عليه ولذلك يكون البحث في الماضي عن أصول الفكر العقلي من دون جدوى. فلا يمكن أن يكون للفكر الحقيقي أصل سوى ذاته هذا هو معنى المعجزة اليونانية. والشعب الإغريقي، فيما يرى الإنكليزي جون بورني John Burnet (1863-1928) ومن يتبنى الرأي نفسه، كان

مـؤهلا دون غيره مـن الشـعوب لأن يكـون مصـدر كل تفكير فلسـفي و علمي، بفضـل صـفات ذكائـه الاستثنائية، كأن انتخابا طبيعيا أو اصطفاء إلاهيا خص هؤلاء بالمعرفة والعلم دون سواهم.

هكذا ومنذ عصر الحداثة، بدأ الفكر الغربي والأوروبي منه على وجه التخصيص ينظر إلى ذاته على أنه حامل رسالة التقدم والأنوار، وأن المضي قدما لن يتحقق ما لم يؤمن العقل الغربي بأنه المخول الوحيد لاستئناف الحضارة؛ فأوروبا هي الوريث الشرعي للعلم المتحدر من الهيلينية. وهكذا وإذ يقدم العقل الغربي ذاته أو أناه بوصفه قطب الرحى والمحور الذي تدور حوله كل القيم فإنه بالمقابل يتصور آخرا متأخرا بدائيا ومتوحشا.

لكن، ولئن فرض مفهوم الغرب نفسه بقوة في الحقل التداولي الإيديولوجي والمعرفي ـ باعتبار الغرب مبدعا للعلم والفلسفة وعنوانا للتقدم ومرجعية أساسية للتحضر والحضارة والديمقراطية ـ فيبدو أن خطاب المابعديات والنهايات الذي سيطر مطلع القرن العشرين، تنبأ بنهاية كل الأنساق والقيم والسرديات الكبرى، يشهد نهاية الحضارة الغربية بوصفها المركز أو المحور، وما دونها من حضارات هوامش و بقايا عقل إنساني متخلف أو ـ على أحسن تقدير ـ العقل في طفولته حينما كان يخطو خطواته الأولى نحو التقدم والمدنية والحضارة.

وتجيئ محاكمة العقل الغربي وتفنيد دعاويه ومن ذلك امتيازه وتفوقه على سائر العقول من طرف مفكري الغرب أنفسهم؛ فالفكر الغربي المعاصر في صورته المابعد ـ حداثية كشف على نحو جلي ِ الوجه السالب للحداثة الغربية، وأعلن عبر خطاباته المختلفة و مناهجه المتعددة عن أفول المحورية القومية، فانطلاقا من بنيوية ستروس مرورا بالتحليل الأركيو ـ جينيالوجي لميشيل فوكو وصولا إلى تفكيكية جاك دريدا تم العمل على تفكيك أسس هذا الادعاء وبيان تهافت منطلقاته والاقرار بأن المكون الإيديولوجي وليس الدافع العلمي هو من يقف وراء هذا الادعاء.

ويهدف هذا المقال عرض وجهة نظر الأنتروبولوجيا البنيوية وتفنيدها لدعاوى تفوق العقل الغربي عما عداه من الإثنيات والثقافات. لذلك سنتوقف (أولا)، عند مفهوم الأنتروبولوجيا البنيوية ومرجعياتها، لنتناول (ثانيا) كونية العقل الإنساني كفرض ومنطلق أساسي لدحض المركزية الغربية و(ثالثا) الاعتراف بالتنوع الثقافي كمقابل للثقافة الغربية التي يراد فرضها بالقوة كبراديغم مرجعي لكل تحضر وثقافة.

أولا: في مفهوم الأنتربولوجيا البنيوية ومرجعياتها

إن ما تجدر الإشارة إليه قبل تقديم مفهوم للأنتروبولوجيا البنيوية هو أن البنيوية سواء كمنهج أو كفلسفة ظهرت منتصف القرن العشرين، بوصفها محاولة لإعادة التفكير في الإنسان من وجهة نظر الألسنية البنيوية، سعيا منها إلى تطوير العلوم الإنسانية لتواكب تقدم العلوم الطبيعية خاصة وأن المحاولات التي قام بها الفلاسفة الوضعيون كأوغست كونت، دوركايم والظواهريون كهوسرل والتأويليون كدلتاي والوجوديون كسارتر وغيرهم من الفلاسفة لم تكن مرضية؛ إذ عجزت هذه المنهجيات و الفلسفات على تقديم قاعدة موضوعية ومنهجية للعلوم الإنسانية. لذا يجب أن ترتكز أي محاولة لدراسة العالم الإنساني بالنسبة للبنيوية على معارضة شديدة لهذه المحاولات وتقديم براديغم جديد تحاول من خلاله إعادة بناء موضوع العلوم الإنسانية أي ما يجب أن يدرس في الإنسان وكيف يدرس، كل ذلك في إطار مفاهيم جديدة كالبنية والنسق واللاوعي البنيوي، والنظم الثقافية والفكرية منظورا إليها نظرة رمزية. وبذلك قامت البنيوية بخطوة أساسية تمثلت في نقد المفاهيم السابقة القائمة في ميدان العلوم الإنسانية من قبيل وهم التعالي والميتافيزيقا، والتأويل الغائي للتاريخ، وكذلك إعلانها لمنهج في البحث كما هو عند ستروس، ذلك أن الحديث عن المنهج البنيوي هو حديث عن الأنتربولوجيا البنيوية التي قدمها كلود ليفي ستروس.

وبالعودة إلى مفهوم الأنتروبولوجيا Anthropologie فالمصطلح مشتق من الأصل اليوناني المكون من مقطعين: أنتروبوس Anthropos ، ومعناه الإنسان و لوغوس logos العلم . وبذلك تصبح الأنتروبولوجيا من حيث اللفظ: تعني علم الإنسان الذي يدرس الإنسان. أما من الناحية الاصطلاحية فالأنتروبولوجيا أو علم الأناسة كما يعرفها ستروس هي« نسق للتفسير يضع في الاعتبار النواحي الفيزيقية والفسيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية لكل أنواع السلوك».(جعفر عبد الوهاب، 1979 ص. 25) أي أنها العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة(الأنتروبولوجيا الطبيعية ـ Anthropologie physique)، ومن جهة أخرى هو الكائن الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها الذي يصنع الثقافة ويبدعها(الأنتروبولوجيا الثقافية ـ Anthropologie culturelle)، وتعد بهذا مجال معرفي يمثل نقطة الالتقاء بين العلوم الطبيعية والإنسانية. ولقد تطور المدلول التاريخي للمصطلح حيث أطلق في القرن السابع عشر في مقابل الكسمولوجيا (علم الكون)، وفي مقابل الثيولوجيا(العلم الالهي). ومع نهاية القرن التاسع عشر اهتمت الأنتروبولوجيا بدراسة الأجناس والأعراق البشرية

المختلفة من حيث أصلها وتاريخها وحضارتها وقيمها، وفي القرن العشرين أصبحت الأنتروبولوجيا بحسب ستروس تهدف إلى معرفة كلية وشاملة للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي(Lévi-Strauss Claude,1955: p388.).

وتنتمي الأنتربولوجيا حسب تصنيف ليفي ستروس إلى العلوم الإنسانية، إذ تكرست كعلم له منهجه الخاص خلال القرن التاسع عشر(1860)، وهذا التحديد لا يعني أبدا أنها علم مستحدث النشأة « بل هي الصورة الأقدم والأعم لما نطلق عليه اسم أنسية»(كلود ليفي ستروس،1983، ص 390). لقد شكلت ولادة هذا العلم الجديد عن الإنسان استطرادا لمنحى تاريخي قديم من خلال الاهتمام بالكشوفات الجغرافية. ثم ازداد الاهتمام بهذه الشعوب في إطار السياسة الاستعمارية وعن هذا يذكر بريتشارد« فإذا سلمنا أن حكم شعب ينبغي أن يتم وفقا لشرائعه الخاصة وعاداته الخاصة فيجب أولا أن نكتشف هذه الشرائع وهذه العادات»،(إيفنز بريتشارد ،1986: ص127). ووفقا لهذه الاستراتيجية الاستعمارية تم انجاز العديد من التقارير الأنتروبولوجية لخدمة المصالح الاستعمارية حيث يذكر الأنتروبولوجي الفرنسي جورج كوندومينوسGeorgesCondominus المتخصص في الموسيقى الأثنوجرافية، أن أطروحة الدكتوراه التي كتبها في فرنسا حول الموسيقى الفيتنامية الجبلية قد تم حيازتها من قبل شبكة الاستخبارات الأمريكية، وتمت ترجمتها واستخدامها في عملية «العنقاء» التي شنتها الاستخبارات الأمريكية في التعرف واستهداف وقتل قادة القرية التي كان أقام عمله الميداني فيها وهذا ما يشي بأنه لا يوجد علم إنساني بريء(خليلي لالة، 2011: ص 65). وفي نظر ستروس الارتباط بين ولادة الاستعمار والأنتروبولوجيا في عصر النهضة أمر واقع، لكن التمادي في الحكم على أن الأنتروبولوجيا آخر ما تمخضت عنه الذهنية الاستعمارية خطأ ما بعده خطأ.(ليفي ستروس كلود 1990، ص. 30) و هذا أمر مقبول إلى الحد الذي ثبت فيه الأنتروبولوجيا أنها حركة علمية مناهضة للاستعمار والمركزية الغربية، أو العرق ـ مركزية.

ولقد شكلت مجمل الاكتشافات والمعطيات التي جمعت عن تلك المجتمعات، بحسب ليفي ستروس الأنسية الثانية أو الأنسية البرجوازية. وساهمت بشكل كبير في إعادة النظر في حقيقة الإنسان من طرف فلاسفة عصر الأنوار، وبلورة مفهوم الإنسان المتوحش الطيب، كنقيض للإنسان المتمدن الشرير، يظهر هذا بجلاء لدى روسو، إذ تحتل كتاباته مكانة هامة عند التأريخ للأنتروبولوجيا في القرن الثامن عشر نظرا لما تضمنته من تناول للمادة الأثنوجرافية عن الشعوب المستكشفة. وبعد هاتين

المرحلتين(الأنسيتين) ها هي الأنتروبولوجيا البنيوية اليوم تعبر عن قـدوم أنسية كلية أو «الإنسانوية الديمقراطية» تدعو إلى المصالحة بين الإنسان والطبيعة في أنسية معممة(ليفي ستروس كلود، 1983 ص. 391).

ولقد اختلفت التسميات التي أطلقت على هذا النوع من الدراسات باختلاف الدلالات التي أعطيت له من قبل الباحثين الغربيين، وهكذا أصبح هناك لبسا بين المصطلحات مثل الأثنوجرافيا والأثنولوجيا والأنتربولوجيا ويقرر ستروس، أن الأثنولوجيا أو الأنتروبولوجيا ـ بمقتضى المصطلح الرائج في الوقت الحاضر ـ تطمح إلى معالجة موضوعها(الإنسان) خلال أكثر تجلياته تنوعا يكتب ستروس« غير أن هدفنا الأخير في الحقيقة، لا يقوم على معرفة المجتمعات موضوع دراستنا، كل لحسابه الخاص بقدر ما يقوم على اكتشاف الطريقة التي تختلف بها عن بعضها بعضا، وكما في علم اللغة تؤلف هذه الفروق التفاضلية موضوع الأنتروبولوجيا الخاص».(ليفي ستروس كلود، 1977،ص. 380). ويعنى هذا أن ليفي ستروس ـمعنيا في دراساته بالمختلف والمغاير لا المؤتلف والمتفق حوله.

ومهما تعددت التسميات فإن الأنتروبولوجيا لا يمكن أن تكون إلا بنيوية، إذ أرادت لنفسها ألا تبقى أسيرة المعرفة التجريبية القائمة على نمط التفسير السببي التعاقبي والاستعاضة عنه بنمط التفسير البنيوي القائم على مفهوم الفسق والتزامن لأنها ترتبط بالبنى اللاواعية، كيف لا؟ وقد استقر في يقينه منذ أعماله الأولى أن البنيوية تمثل أكثر المناهج قدرة على فهم وتحليل المعلومات الأثنوجرافية، وتعد في الوقت نفسه أفضل وسيلة يمكن بها تجاوز هذه المعلومات ووقائعها العيانية المشخصة، والوصول إلى الخصائص العامة للعقل الانساني لأنها تستهدف أساسا الكشف عن الخصائص الجوهرية، والصيغ الكلية التي تكمن وراء الفكر بصرف النظر عن اختلافات الزمان والمكان، وتباين المجتمعات والثقافات، لأن ما هو جوهري وكوني لابد أن يشكل طبيعتنا الحقيقية، تلك الطبيعة التي يساعدنا فهمها على أن نصبح أفضل من خلال استخلاص مبادئ الحياة الاجتماعية التي من الممكن لنا تطبيقها في اصلاح عاداتنا الخاصة وليس المجتمعات الغريبة عنا. فنحن في المجتمع الذي ننتمي إليه وحده نتمتع بوضع يسمح لنا بتحويله دون المجازفة بتحطيمه.(ليفي ستروس كلود ،2003، ص. 490).

وبعد أن استخدمت الأنتروبولوجيا المنهج الانتشاري، ثم المنهج التطوري قبل أن تعرف المنهج الوظيفي، فإنها مع ستروس بدأت بتطبيق المنهج البنيوي على الدراسات الأنتروبولوجية، راسما بذلك خطا خاصا به هو الأنتروبولوجيا البنيوية. فما هي المرجعيات التي انطلق منها ستروس؟

يتأسس المشروع البنيوي الستروسي في مجال الأنتربولوجيا على ما انتهت إليه الدراسات في مجالات يخصها ستروس بأهمية بالغة؛ ويتعلق الأمر بإلهام الألسنية البنيوية وإلهام الجيولوجيا الماركسية، والتحليل النفسي. لقد شكلت هذه العلوم أو أثيراته الثلاث ـ كما يصفها ـ تفكيره منذ البداية، وقد أشار هو نفسه إلى ذلك في الفصل السادس من كتابه(مداريات حزينة)، إذ تعلم منها درسا هاما ساعده في بحثه عن البنية الخفية التي يمكن من خلالها تفسير الظواهر، وعلى أن يميز بين التصورات المدركة والحقائق العميقة التي تكمن وراء هذه التصورات.

إن الجيولوجيا هي أول ع لم نال إعجابه وتقديره، و يرجع اهتمامه بها فيما يذكر هو إلى سنة عمره الأولى(ليفي ستروس كلود، 2003، ص. 62)،أوحت له بمبدأين أساسين في المنهج يتعلق المبدأ الأول بضرورة ارتباط الملاحظة عنده بتحليل عميق لحالة واحدة محددة، وذلك على العكس من المنهج المقارن الذي يقوم على تعدد الملاحظات التي تمكن الأثنولوجي من أن يصل إلى القانون العام. أما المبدأ الثاني، والذي أثر تأثيرا كبيرا في تصور ليفي ستروس للتاريخ، حتى صار إحساسه بأهمية الزمن هو في حقيقته إحساس جيولوجي لا إحساس مؤرخ، حيث البحث الجيولوجي في أغوار الماضي البعيد للصخور والحفريات يمتد إلى أزمنة و عصور جيولوجية قديمة تتضاءل أمامه فكرة الزمن على مستوى الحياة الإنسانية. وكما أن الطبيعة لا تحتوي على صخور أقل مرتبة من أخرى لأنها متغلغلة في القدم كذلك لا نستطيع بالمثل أن نتصور وجود عقلية سابقة على المنطق، أو عقلية أدنى مرتبة من غيرها من العقليات. بل الأكثر من ذلك« أن بنية الفكر البدائي حاضرة في عقولنا الحديثة بقدر حضورها في عقول أولئك الذين ينتمون إلى مجتمعات بلا تاريخ ».(ليتش إدموند، 2007، ص. 21). إن ما يوجد هو فرق في الدرجة وليس فرقا في النوع، بين مجتمعات رسخت فيها المعرفة العلمية وأخرى لم يتسن لها ذلك.

إلى جانب الجيولوجيا، كشفت أعمال فرويد لـ ستروس، أن فكرة التضاد بين المعقول واللامعقول وبين العقلي والوجداني وبين المنطقي والسابق على المنطق، ليست في الحقيقة كذلك؛ إن ما هو أكثر معقولية يقبع داخل اللامعقول ذاته، وأن السلوكيات الأكثر وجدانية في الظاهر والعمليات

الأقل عقلانية، والعمليات اللاشعورية التي يظن أنها الأكثر بعدا عن العقل هي في الوقت ذاته الأكثر دلالة والأكثر مغزى(ليفي ستروس كلود، 2003، ص. 61). إلا أن اللاوعي الستروسي مقولة فلسفية ذات بنية رمزية منطقية، على خلاف اللاوعي الفرويدي فهو ورغم الرمزية التي تكتنفه، يظل بعيدا كل البعد عن المنطق إنه لامنطقي؛ ذلك أن عملية نقل اللاوعي من المجال النفسي إلى المجال الأنتروبولوجي فيما يرى الفيلسوف الفرنسي المعاصر بول ريكور أفقدته لونه الفرويدي وأحالته إلى بنية للفكر البشري، بنية فارغة من النزوات والرغبات في قدرتها الترميزية، إذ لا علاقة له بالدوافع الغريزية الجنسية، إنه لاوعي مقولي تصنيفي، وهذا ما يجعل ستروس يختلف ومن ثم يبتعد عن فرويد ويقترب من كانط، فهو أشبه بإطار تنظيمي للاوعي، لكن من دون ذات مفكرة. (ريكور بول، 2005،ص.66).

وثالث مجال أثر في ستروس أيما تأثير هو الماركسية، ويمكن أن نقول أنه كما استيقظ كانط من سباته الدوغماتي على إثر قراءة هيوم كان ماركس بالنسبة إلى ستروس، مع الفارق أن صاحب الأنتروبولوجيا البنيوية لم يكن في حالة سبات، ووجه الشبه يكمن في شدة التأثير. كما أن المشكلة في الماركسية، كما في الجيولوجيا والتحليل النفسي واحدة، وهي العلاقة بين المحسوس والمعقول بهدف الوصول إلى ما هو طاو.

ولئن وجد ليفي ستروس في أثيراته الثلاث الإلهام، فإنه وجد في الألسنية البنيوية أي تلك الثورة المنهجية التي صاحبت اللسانيات الحديثة وأحدثت قطيعة مع المنهج التاريخي والمنهج المقارن في دراسة اللغة، ووضعت آليات عملية في مقاربة الوقائع اللغوية مقاربة محايثة و علمية، وجد فيها نموذج المعقولية؛ فمن الحقائق المؤكدة أن ستروس هو أول من أدرك ببصيرة ثاقبة إمكانية استلهام النموذج البنيوي في اللغة، وتعميم مكتشفاته ونقل تطبيقاته من المجال اللغوي إلى مجال الظواهر الاجتماعية والثقافية. وإن كان عمله (البنى الأولية للقرابة) الحافز الرئيس في تطور البنيوية، فإن هذا الحافز مدين بكثير من قوته إلى حقيقة أن عمل ستروس يعيد إنتاج مقاربة كانت قد طورت داخل حقل اللسانيات(سايمون كلارك،2015، ص.114) لأجل هذا قد يكون في الأمر إنصاف إذا عدت الأنتروبولوجيا من خلال أعماله في مقدمة الإنجازات التي يحق للبنيوية أن تفتخر بها بعد اللسانيات.

وتجد تأثير اللسانيات عنده في تلك الفرضية العامة، التي تشكل مدار بحثه الأنتروبولوجي وهي: **الظواهر الاجتماعية والثقافية لها طبيعة داخلية تشبه طبيعة اللغة**. ولما كان الأمر كذلك والتساؤل لـ ستروس « أفلا نستطيع نحن أيضا أن نطبق على مجال دراستنا المعقد ـ القرابة، التنظيم الاجتماعي

الدين، الفولكلور، الفن ـ المناهج الدقيقة التي تثبت فعاليتها كل يوم؟» (ليفي ستروس كلود1977، ص.91). تتضمن أعمال ليفي ستروس المتقدمة والمتأخرة جزء من الإجابة عن هذا السؤال؛ فاللغة هي الخاصية الرئيسةالتي تميز الإنسان عن غيره من الحيوانات؛ وهي أكثر الأدوات قوة وكمالا للاتصال الرمزي المتاح للبشر. كما أن اللغة تتكون من عناصر صوتية بسيطة تتحد فيما بينها لتشكل معنى، دون أن يكون هناك معنى لأي من هذه العناصر على حدى. كذلك فإن الظاهرة الإثنولوجية لا تحمل في ذاتها أي مدلول خاص، ولكن علاقاتها بالظواهر الأخرى هي التي تمنحها المعنى. ولهذا، فإن ما يجب أن يوضع في الاعتبار ليست الوقائع ذاتها، وإنما العلاقات بينها.

هكذا، وبالنسبة إلى البنيوية المعنية تحديدا بمسألة الأساس الموضوعي للثقافة، وبتحليل الثقافة باعتبارها سلسلة من الأنظمة الرمزية، فلابد من أن تكون اللغة هي الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها فهم كل تصور للحياة الاجتماعية. بل الأمر أبعد من ذلك «أن تقول "إنسان" يعني أن تقول "اللغة"، و أن تقول "لغة"، يعني أن تقول "مجتمع"»(ليتش إدموند، 2007 ص. 58). يلزم عن هذا إمكانية دراسة كل مظاهر الحياة الاجتماعية بالمنهج اللغوي البنيوي، ولأجل هذا يقرر أن الفونولوجيا لا يمكن أن تتخلف عن القيام إزاء العلوم الاجتماعية بالدور المجدد الذي قامت به قامت به الفيزياء النووية، مثلا حيال مختلف فروع الرياضيات، ذلك أن:

- علم الأصوات ينتقل من دراسة الظاهرات اللغوية الواعية الى دراسة بنيتها اللاواعية.
- يرفض أن يعامل الألفاظ على أنها كيانات مستقلة، ويتخذ أساسا لتحليله العلاقات بين الألفاظ.
- يأخذ بمفهوم النسق.
- يرمي إلى اكتشاف قوانين عامة(ليفي ستروس كلود، 1977، ص. 52).

إن هذه الخصائص، جعلت ستروس يستعير القواعد اللسانية والصوتية، ويجعل منها منطلقا منهجيا لدراساته وملاحظاته ومعايناته الميدانية وأبحاثه المختلفة في الأنتروبولوجيا.

ثانيا: كونية العقل الإنساني ووحدته

ينطلق ليفي ستروس في عمله الضخم من فرضية أساسية هي: كونية العقل البشري. والكونية عنده تعني:

- أن العقل كلي ومجهول، ولا ينتمي إلى أي ذات، إنه هوية ثابتة وهو وجود سابق للتاريخ.

- إن قوانين الفكر ـ بدائيا كان أو متحضرا ـ هي القوانين نفسها التي تسري على الواقع الفيزيائي وكذلك على الواقع الاجتماعي(الدواي عبد الرزاق،1992، ص. 88).

وبإزاء هذا الثبات فليس هناك من تقدم في العقل(بنية العقل) ولكن هناك تقدم في المعرفة ووراء تنوع ثقافات البشر واختلافها البيّ سمات سيكولوجية إنسانية واحدة تمثل العناصر (البنية)المشتركة بين مختلف الإثنيات. وتأسيا على هذا يرفض ستروس التعارض الفي بين نوعين من الأعراق: نوع يزعم أن له مؤهلات طبيعية خاصة للعلم والثقافة والحضارة، و نوع آخر لا مؤهلات طبيعية له، وتنعدم لديه القدرة على التفكير العلمي. إن هذه الثنائية وعلى غرار ثنائيات أخرى من قبيل: ثنائية الخير والشر، ثنائية القبيح والجميل، ثنائية الظلمة والنور، ثنائية الحق والباطل، ثنائية التحضر والبداوة، تنتهي بنا إلى نوع من التفكير العدمي الذي ينزع في حدوده القصوى نزوعا عرقيا وعنصريا.

وبالتبعية يرفض ستروس رفضا قاطعا أن يلحق صفة البدائية بالشعوب التي اصطلح عليها مالينوفسكي، ليفي بريل، جيمس فريزر و جان بول سارتر، وغيرهم من الأنتربولوجيين والفلاسفة اسم المجتمعات البدائية، ذلك أن مثل هذه التسمية وما يرادفها في رأيه تعد خاطئة ومضللة، فمن المعلوم أن كلمة "بدائي"، تدل على مجموعة واسعة من الشعوب تجهل الكتابة، الأمر الذي أبقاها خارج نطاق بحث المؤرخ وبعيدة كل البعد عن النظرة العلمية. والحق أن الشعب البدائي ليس متأخرا أو متخلفا بل ينم في هذا المجال أو ذاك عن روح ابتكار وتنفيذ تتقدم أشواطا بعيدة عن نجاحات المتحضرين.(ليفي ستروس كلود، 1977، ص. 126). ولأجل هذا يقرر ستروس أن ما هو أساسي في الوقت الحاضر، هو أن نساعد الأثنولوجيا على التخلص من الراسب الفلسفي، الذي مازال لفظ "بدائي" يجره وراءه (ليفي ستروس كلود، 1977، ص. 145)، خاصة وأنه تبين الخطأ الكبير الذي وقع فيه ليفي بريل عندما أقام تقسيمه الثنائي للمجتمعات انطلاقا من مسلمة تستند إلى المنطق كفيصل للتفرقة؛ فالمجتمعات المتحضرة تتمتع بعقلية منطقية وتفكير عقلاني بينما يسود المجتمعات البدائية عقلية سابقة على المنطق أو لا منطقية، حيث لا يفرق الإنسان البدائي بين الذات وموضوعات العالم الخارجي والعالم المحسوس والعالم الغيبي لا يكونان في تصوره إلا شيئا واحدا. لهذا نجده يحرص دائما على وضع لفظ "بدائي" Primitif بين قوسين، وفي المقابل يطلق la pensé sauvage ـ بحسب الترجمة ـ

لفظ الفكر المتوحش أو الفكر البري أو الفكر الفج أو الفكر الخام، تفكير الفطرة، على تفكير الإنسان "البدائي".

وليس هذا فحسب، بل يرفض كلود لفي ستروس كل تفسير يتأسس صراحة أو ضمنا على فرضية أن العقل يتقدم وينمو تدريجيا عبر التاريخ، ويكشف باستمرار كيفيات جديدة لإدراك الواقع وتمثله والتعبير عنه. إن فكرة التدرج في الرقي الحضاري في التاريخ ليست صحيحة تماما، والاعتقاد في صحتها إنما يعود إلي هيمنة النزعة التطورية في الأنتروبولوجيا الكلاسيكية، فـ«التأويل التطوري في مجال النياسة يشكل امتدادا مباشرا للتطورية الحيوية هكذا تبدو الحضارة الغربية بمثابة التعبير المتقدم في تطور المجتمعات البشرية، كما تبدو المجموعات البدائية كناية عن (بقايا) خلفتها مراحل سابقة يتكفل تصنيفها المنطقي بالكشف عن سياق ظهور تلك المجتمعات عبر الزمن».(ليفي شتراوس كلود، 1995، ص. 13) فلم تكن تلك الأبحاث إلا محصلة فترة تاريخية ساد فيها الاستعمار وأحدثت بموجبها تراتبية أقصيت على إثرها تلك الشعوب الإيزوتيكية (الغرائبية والعجائبية)، ذوات الأجساد شبه العارية والمـ ـوشحة بزخرف الألوان والريش إلى الهامش، وكأنها لا تنتمي إلى عالم الإنسان.

مما لاشك فيه أن المـ ـركباتـ التي تدفع باليد أكثر بدائية من المـ ـركباتـ التي تجرها الخيول، وهذه الأخيرة أكثر بدائية من السيارات، لكن السؤال الذي يطرح كيف صنع الإنسان عجلا، وركبه على شيء جعله مركبة يجرها هو، أو فيما بعد يستخدم حيوانا ليجر هذه المركبة؟ و قبل ذلك كيف جاءته الفكرة أن شيئا مدورا يسير على الأرض؟ وإذا أردنا أن نمضي أكثر فنقول كيف صنع الإنسان دواء مخففا للألم أو مزيلا له؟

هكذا بإمكاننا أن نمضي في طرح العديد من هذه التساؤلات، ليتأكد لنا أنه ليس صحيحا ما يقال أن الاكتشافات التقنية عند القدامى كانت وليدة الصدفة أو الحدس ذلك أن اكتشاف النار وصنع الفخار وأدوات الصناعة والزراعة، وتعدين المعادن الثمينة يؤكد وجود النزوع المعرفي المستقل لدى الشعوب المسماة بدائية بل والقول لستروس« نحن ما زلنا مرتبطين بالاكتشافات الهائلة التي ميزت ما نسميه دون أية مغالاة، الثورة النيوليتية: ثورة الزراعة التربية والخزفيات والحياكة... و منذ ثمانية آلاف أو عشرة آلاف سنة لم نضف على كل هذه «الفنون الحضارية» سوى الزيادة في الاتقان»(ليفي شتراوس كلود، العرق والتاريخ، ص. 43). ولا يقتصر الأمر على الجانب التقني المتعلق بتيسير أمور الحياة وتهوينها، بل يمتد ليشمل حتى الجوانب الأكثر تعقيدا في الحياة الاجتماعية

والسياسية فلو رجعنا إلى الماضي لوجدنا « أن الأنظمة السياسية الكبرى في أفريقيا القديمة وانجازاتها القانونية، ونظرياتها الفلسفية التي خفيت طويلا على الغربيين، وفنونها التشكيلية وموسيقاها، التي تستكشف بطريقة منهجية، جميع الإمكانيات المتوفرة عبر كل وسيلة للتعبير، كلها دلائل على أن الماضي في غاية الخصب ».(ليفي شتراوس كلود، العرق والتاريخ، ص. 37). إضافة إلى هذا يتفوق هذا الماضي من حيث مستويات الصحة والبيئة والعلاقات الإنسانية على ما آل إليه الإنسان في الحضارة المعاصرة.

وإذ يتساءل ستروس: هل من الممكن ترتيب كل المجتمعات البشرية في صيغة موحدة من التطور والرقي، فيوصف بعضها بالبدائية وبعضها بالتحضر؟ فهو علي يقين تام بعدم وجود مبرر علمي يسمح بإطلاق أحكام معيارية وتفاضلية حول الشعوب وثقافاتها، ذلك أن اعتقاد الغرب بتفوقه الحضاري وتفاخره بإنجازاته العلمية والتقنية لا يجب أن يكون مدعاة لازدراء الآخر أو الهيمنة عليه ينقل ستروس عن عالمة الأنتروبولوجيا الثقافية الأمريكية إلينور سميث بوين (1922 - 2002) قولها « هكذا وجدت نفسي للمرة الأولى في حياتي بين قوم حيث الأطفال الذين في العاشرة من العمر لا يعرفون من المعلومات الرياضية أكثر مني، ولكني كنت أيضا في مكان حيث كل نبتة سواء أكانت برية أم جوية تختص باسم واستعمال محددين، وحيث كل رجل وامرأة وطفل يعرف المئات من أجناس هذه النباتات، والجدير بالذكر أن أيا منهم لم يصدق أني لست قادرة، حتى لو أردت، أن أكتسب في هذا الميدان مثل معرفتهم، ولا يبدو أن الحاجة العملية وحدها هي من لعبت الدور الأساسي في عملية التحصيل المعرفي المذكور، حيث يبدو أن هناك عوامل أخرى فعلت فعلها».(ليفي شتراوس كلود ، 2005، ص. 17). ويضيف ستروس أن تصنيف هنود الشمال الشرقي ـ على سبيل المثال ـ للنباتات وكذا الحيوانات، وتخصيص ألفاظ بعينها للدلالة على كل نوع وجنس منها، وبيان أوجه استعمالاتها العلاجية، ينم عن معرفة دقيقة وواسعة تتجاوز حدود المنفعة العملية، فتلك الأجناس الحيوانية والنباتية لم تعرف لأنها مفيدة؛ بل إنها وصفت بأنها مفيدة أو جعلت موضوعا للاهتمام بعد أن كانت في البداية موضوعا للمعرفة.(ليفي شتراوس كلود، 2005، ص20).

إن الهاجس القوي الذي حرك رائد الأنتروبولوجيا البنيوية هو أن تصنيف ووصف مجتمعات بعينها بالوحشية والبدائية لا يستند إلى مبرر علمي ـ كما أشرنا سابقا فالأنتروبولوجيا لم تكن في الفترة الاستعمارية أداة علمية، بقدر ما كانت أداة طيعة في يد الإيديولوجيا موجهة إياها إلى خلق وهم تفوق

"الأنا" مقابل دونية "الآخر". إن الإسبان ـ على سبيل المثال ـ بعد اكتشاف أمريكا ببضع سنين كانوا يرسلون البعثات الاستقصائية بحثا عم إذا كان أهالي تلك البلاد يملكون روحا و عقلا أو لا يملكون؟ أبشر هم، أم تراهم حيوانات ضارية يجب ترويضها وتثقيفها؟ إن هذا الواقع صوره دينيس ديدرو Diderot Denis (1713ـــــ 1784) أجمل تصوير في قصته الخيالية (تتمة لرحلة بوغنفيلSupplément au voyage de Bougainville)، حيث جاء على لسان العجوز المتوحش ـ الذي طالما توجس ريبة من الملاح الأوروبي بوغنفيل ـ قوله: « أبكوا أيها التاهيتيون المساكين أبكوا، وإنما على قدوم هؤلاء الرجال الجشعين والأشرار، لا على رحيلهم، فسوف يأتي يوم تعرفونهم على نحو أفضل. ذات يوم سيعودون (...) ذات يوم ستصبحون في إمرتهم ولن ينوبكم منهم سوى الفساد والدناءة والتعاسة»(ف.فولغين، 2006، ص.114). وبالفعل تحققت نبوءة المتوحش التاهيتي إذ لا يزال هذا الواقع يكرر نفسه فيما بات يعرف بالعولمة التهديد الأكبر للتنوع الثقافي والعلاقات بين الثقافات والحضارات في ظل الحد الأقصى من الاتصال أو ما يسميه ستروس بـ "إفراط الاتصال".

ثالثا: الاعتراف بالتنوع الثقافي

ثمة شبه اتفاق على أن التنوع الثقافي هو قدر المجتمعات البشرية، تماما كاختلافها في الأعراق والألسن والألوان، لكن ما هو محل جدل واختلاف هو تفسير هذا التنوع. وأقدم النظريات في هذا الشأن النظرية العرقية لـ غوبينيو الذي يزعم أن الأصل في تنوع ثقافات الشعوب واختلافها البين هو اختلاف أعراقها. ويلخص ستروس النزعة العرقية بوصفها عقيدة محددة في النقط الأربع التالية:

1. يوجد ارتباط بين الإرث البيولوجي من جهة والكفاءات الفكرية والملكات العقلية من جهة ثانية.
2. هذا الإرث مشترك عند جميع أعضاء تجمع بشري معين.
3. يمكن ترتيب وتصنيف هذه التجمعات المدعوة "أعراقا" حسب موروثها البيولوجي.
4. تسمح هذه الاختلافات للـ"أعراق" المدعوة عليا بقيادة واستغلال الأعراق الأخرى بل تدميرها أيضا(ليفي شتراوس كلود، 2000، ص.237).

تصدى ستروس لهذه النظرية مفندا دعاويها، مدعيا أن الخطيئة الأصلية التي تقع فيها الأنتروبولوجيا تكمن في الخلط بين مقولة العرق، التي هي مقولة بيولوجية بحتة وبين الانتاجات الاجتماعية والنفسانية التي تقررها الثقافات البشرية.(ليفي ستروس كلود، 1990، ص. 296). ومعنى هذا أنه لا يوجد ارتباط ضروري ومطلق بين تقدم الثقافات البشرية وازدهارها، وبين ما يزعم أنه

امتياز وتفوق عرقي العرق الأسمى/ العرق الإنساني، مقابل العرق الأدنى/العرق الحيواني. مرد هذا الاختلاف لشروط الحياة الجغرافية والتاريخية التي عاشتها المجموعات البشرية التي عمرت مناطق مختلفة من الأرض، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يدل هذا الاختلاف على القدرة الخلاقة للعقل البشري في التكيف مع شروط الحياة المختلفة، ومادامت هذه الشروط مختلفة فلا يجب أن ننتظر من مجموعة بشرية تعيش في شمال في الجنوب أن يكون لها نمط العيش نفسه والثقافة الخاصة بمجموعة بشرية تعيش في الشمال.

وفي مقابل هذا يتبنى ستروس "نظرية النسبية الثقافية"، التي تتمحور حول فكرة مفادها أن معرفة الآخر معرفة موضوعية وعلمية تقتضي أمرين اثنين:

يتعلق الأمر الأول بتجاهل الأنا؛ عبر رفض كل حكم على ثقافة الآخر ينطلق من المفاضلة الاستعلائية، لقد بين ستروس أن الأنتروبولوجيا(في صورتها غير البنيوية) هي ذروة النزعة الإنسانية الغربية فـ «الأنتروبولوجي الغربي حين يدرس الآخر، ليس من أجل أن يكتشفه في اختلافه الحقيقي، في مغايرته الخام، في انزياحه الخاص، وإنما يدرسه ليؤكد فيه كل ما يثبت ويعيد إنتاج مركزيته، مقابل إعادة إنتاج هامشية الآخر.(...) الآخر الغرائبي الذي لا يزال له ثمة وجود هناك، إنما هو نصب من أنصاب ما قبل التاريخ» (ميشيل فوكو، 1999، ص. 7). وما يكرس هذا النوع من الدراسة هو ما ذكره ستروس في كتابه الأخير «الأنثروبولوجيا إزاء قضايا العالم المعاصر» L'anthropologie face aux problèmes du monde moderne وتحديدا في الفصل الأخير منه وهو بعنوان: « الاعتراف بالتنوع الثقافي»، حيث يذكر ستروس أن « العديد المجتمعات الإيزوتيكية التي جرى تناولها من قبل علماء الأنثروبولوجيا قد تمت دراستها عن بعد، وفي الحالات التي حضر فيها الباحث إلى عين المكان غالبا ما كانت تعوزه أدوات الإلمام اللغوية والسلوكية والمعيشية بتلك المجتمعات».(عز الدين عناية https://www.alittihad.ae/article/13071/2018/). وعلى الضد من هذا يكتب ستروس في مقدمته لكتاب مارسيل موس (الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع)، أن الأنتروبولوجيا البنيوية وعبر تحليلاتها العلمية « تمكننا من بلوغ أغرب الأغيار على أنه نحن» (بن احمودة محمد، 1987، ص.61) إن الغرب(الأوروبي) بحسب ستروس قد تعلم منذ الصغر أن يكون متمركزا على ذاته يخشى دنس الأشياء الأجنبية، وهو مذهب(مذهب سارتر الذي تراجع عنه في كتابه نقد العقل الجدلي) يعبر عنه بالقاعدة

التي تقول: « الآخر هو الجحيم» في الوقت الذي تشتمل فيه إحدى الأساطير البدائية على فكرة معاكسة فترى أن «الجحيم هو نحن»(ليتش إدموند، 2007،ص. 57).

وإذ ذاك لا تفاضل بين الأعراق والشعوب واختلاف الوسائل والأدوات في تحقيق الأهداف الواحدة(إقامة المجتمع العادل المسالم...إلخ) لا يبرر عملية الإقصاء والتعالي التي يمارسها العقل الغربي على الشعوب التي يقول عنها أنها بدائية « فهو عندما ينزع صفة البشر عن أولئك الذين يبدون له بمثابة الهمج والبرابرة لا يفعل سوى ان يستعير منهم واحدا من أكثر مواقفهم خصوصية. إن البربري هو قبل كل شيء من يؤمن بوجود البربرية». (ليفي ستروس، كلود 2008، ص .169). والبربرية حكم إيديولوجي ووهم تم اختراعه من طرف الغرب لتبرير كل أنواع التغلب والتسلط.

إذن، ليس أمعن في الخطأ من التوحيد بين العقلية البدائية وعقلية الطفل، أو القول عن هذه الشعوب أنها متخلفة عقليا. وكل محاولة من هذا النوع أي نظرة هيراريكية (تراتبية) تفاضلية للإنسان وللعقل الإنساني إنما هي انعكاس واضح لما يسمى بالمركزية الغربية(مركزية الأنا، مركزية العرق، مركزية العقل، مركزية السلطة) وهي في أقصى مدى لها اقصائية. ويمكن المضي مع ستروس إلى أبعد من ذلك، حيث تكون الحضارة الغربية ونزوعها الاستعماري، وكل أشكال التغلب التي فرضتها على هذه الشعوب، هي العدو الأول للنزعة الإنسانية الحقة.

و يتحقق الأمر الثاني من خلال إبراز الطابع النسبي للقيم والمعايير التي تصف بواسطتها الثقافات البشرية في خانات التقدم والتخلف، إذ « تؤكد النسباوية الثقافية أن ما من معيار يسمح بالحكم المطلق على ثقافة ما أنها أعلى من أخرى».(ليفي شتراوس كلود، 2000، ص.233). بل الحضارة الغربية في صورتها المعاصرة فقدت النموذج الذي أعطته لنفسها، ولم تعد تجرؤ على تقديم هذا النموذج للآخرين. أو كما صرح هو بذلك:

« La civilisation de type occidental a perdu le modèle qu'elle s'était donné à elle-même, et elle n'ose plus offrir ce modèle aux autres ». (Claude LEVI-STRAUSS,2011,P.16)

والحال هذه، لابد من احترام ثقافات الشعوب مهما كان مستواها، لأن في ذلك احترام للإنسان في حد ذاته، أو بلغة كانطية(نسبة إلى كانط) يجب النظر إلى تلك الثقافات ومن خلالها الشعوب نظرة تحفظ لها كرامتها من حيث أنها غاية وليست وسيلة. وهذه هي السبيل الوحيدة للقضاء نهائيا على النظرة المركزية الإثنية أو المحورية القومية.

إن احتقار ثقافة الآخر وتصنيفها وفقا لمعيار العرق ـ وفي مرحلة لاحقة ـ وفقا لمعيار العلم والتفوق التكنولوجي،«يضمر في الحقيقة هدفا أساسيا هو الهيمنة على مقدرات تلك الشعوب، وإبادة ثقافتها شفاهية كانت أو مكتوبة وهدم وطمس آثارها الدالة على أنها كانت هاهنا أو هناك. وتفاديا لذلك يجب على البشرية اليوم الابتعاد عن كل نزعة عنصرية تحصر الامتياز والتفوق في عرق بعينه وفي ثقافة واحدة،مهيمنة؛ تشكل المرجعية الأساسية للفكر الإنساني والحضارة والثقافة الإنسانية برمتها.

لكن إذا كان التنوع الثقافي بهذه الأهمية، فما هو الشرط الأساسي الضامن لتحققه؟

إن التواصل الجسر الذي نقل من خلاله النموذج الإبستيمولوجي اللساني إلى حقل الأنتربولوجيا، هو الضامن للتنوع الثقافي، فهذا « الأخير ليس وليد تباعد الجماعات بمقدار ما هو وليد العلاقات التي تجمعها ». (ليفي ستروس كلود 2008، ص. 166). ويكون التواصل مجديا متى كانت تلك العلاقات مبينة على التكافؤ والتعادل لا التفاضل والتقليد الأعمى، أي لا يجب أن يكون ذلك التواصل فرضا لقيم ثقافية توصف بأنها العليا، وتمثل جوهر وحقيقة الإنسان، بينما الثقافة الأهلية (ثقافة السكان الأصليين) هي الأدنى، هي أقرب إلى الطبيعة منها إلى الثقافة. كما لا يجب أن يتسلل هذا الادعاء إلى نفوس هذه الشعوب على أنه حقيقة مؤكدة، فتقع في شراك التقليد الأعمى أين يكون فيه «المغلوب مولعا أبدا بتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده» فيما يرى ابن خلدون في المقدمة. وإذ يحلم ستروس بأن يسود الإخاء والمساواة بين الشعوب دون أن يقضيا على تنوعها فهو يدرك جيدا «أنه ليس من الممكن، في آن واحد أن يذوب المرء متعة في الآخر، أن يتماهى به، وأن يظل مختلفا عنه»(ليفي ستروس كلود، 2008، ص. 255).

لكن، المدافع عن التعددية الثقافية وحق الشعوب البدائية في الاختلاف يبدو ـ كما يلاحظ منتقدوه ـ قد انزلق من انصاف البري إلى امتهان المتحضر. فهل تراه وقع، على غير قصد منه في شر ما كان يمقته وينتقده، أي "داء المركزية" لكنها هذه المرة مركزية معكوسة، "مركزية المتوحش"؟ أحد الإمكانات أن يكون الجواب بالنفي.

إن حرص ستروس الشديد على ثقافات الشعوب البدائية جعله يراجع أهم شرط لتلاقح الحضارات وازهار الثقافات ألا وهو التواصل. يبدو أن ما كان يخشاه قد وقع؛ ففي ظل الوتيرة المتسارعة لعملية الاتصال أصبح العالم كله قرية واحدة متجانسة وشديدة التشابه في أنماط وأساليب الحياة والتفكير ...إلخ. وأصبح التنوع الثقافي قاب قوسين أو أدنى من التلاشي. وحتى لا يحدث

ذلك لابد من العزلة واستحداث مسافة آمان على البشرية « أن تتعلم من جديد أن كل ابداع حقيقي لا بد له من أن يصم أذنيه عن سماع نداءات القيم الأخرى، بل إنه قد يذهب إلى حد رفضها».(ليفي ستروس كلود، 2008، ص. 255).

الخاتمة:

وهكذا يمكن القول أن الخطاب الأنتروبولوجي المعاصر ومن خلال صورته البنيوية قد تغير ؛ فلم يعد ينظر إلى المجتمع الإنساني كنموذج هرمه ومركزه المجتمع الغربي، والمجتمعات الأخرى تمثل بقايا المستويات الاجتماعية التاريخية التي مر بها النموذج الغربي أثناء تطوره التاريخي.

ومن خلال هذا المنهج البنيوي الذي طبق ليفي ستروس في الأنتروبولوجيا أثبت أن هذه المجتمعات (البدائية) التي كانت محل دراسة واستقصاء علمي هي مجتمعات منطقية لا تختلف في نظامها عن نظام المجتمعات الحضارية على الرغم مما تبديه هذه الأخيرة من تقدم تقني، فبنية العقل واحدة وثابتة، و العقل الإنساني بالرغم من الفوارق الثقافية، إلا أنه هو ذاته في جميع الأحوال ولدى جميع الشعوب لأن المبادئ العامة والأساسية للتفكير الإنساني واحدة، فقط توارت في أيامنا هذه نتيجة التقدم التكنولوجي.

وأهم ما يحسب للأنتروبولوجيا البنيوية أنها أثارت الشكوك حول رؤية الغربي لنفسه كمركز للعالم والعلم والحضارة، وعملت على تفنيد وهم تفوق العقل الغربي، وذلك من خلال اثباتها لعقلانية التفكير البدائي، كما استطاعت أن تعيد الاعتبار لحضارات وثقافات العالم بلا استثناء، وجعلتها تقف على قدم المساواة في زمن طغى فيه النموذج الغربي على ما سواه.

والأكثر من هذا أن الاعتراف بمبدأ الحق في الاختلاف والتنوع الثقافي بات حقا مشروعا من الناحية القانونية. لكن السؤال الذي يطرح هل يجد هذا الحق سبيله إلى التحقق الفعلي، خاصة وأننا نعيش في ظل عولمة تبتلع داخل جوفها كل ما هو خاص ومحلي؟ وعلى من تقع المسؤولية في ذلك؟

المصادر والمراجع:

1- أوجيه مارك و بول كولاين جان(2008)، **الأنتربولوجيا**، ط1، ترجمة جورج كتورة، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة.

2- بريتشارد إيفنز (1986)،**الإناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظريات الإناسيين**، ط1، ترجمة قبيسي حسن، لبنان، دار الحداثة.

3- بن احمودة محمد (1987)، **الأنتروبولوجيا البنيوية أو حق الاختلاف من خلال ابحاث ك.ل. ستراوس**، ط1، صفاقس ـ تونس، دار محمد علي الحامي للنشر.

4- بول ريكور(2005)، **صراع التأويلات ـ دراسات هيرمينوطيقية**، ط1، ترجمة، منذر العياشي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب الجديدة المتحدة.

5- جعفر عبد الوهاب(1979)، **البنيوية والوجودية**، الإسكندرية ـ مصر، دار المعرفة الجامعية.

6- خليلي لالة (2011)، **أخلاقيات البحث في العلوم الاجتماعية**، في:(البحث النقدي في العلوم الاجتماعية)، ترجمة إليز أغزريان، فلسطين، معهد ابراهيم أبو الغد للدراسات الدولية ـ جامعة بيرزيت، ط1.

7- الدواي عبد الرزاق (1992)، **موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر**(هيدجر وليفي شتراوس و ميشيل فوكو)، ط1، بيروت ـ لبنان، دار الطليعة.

8- سايمون كلارك (2015)، **أسس البنيوية**، ترجمة، سعيد العلمي، القاهرة ـ دار بدائل للطبع والنشر والتوزيع، ط1.

9- فوكو ميشيل(1990)، **الكلمات والأشياء**، ط1، بيروت ـ لبنان، مركز الأنماء القومي.

10- ليتش إدموند (2007)، **كلود ليفي ستروس**، ط2، ترجمة، ديب ثائر ، دمشق ـ سوريا، دار الفرقد.

11- ليفي ستروس كلود (1977) **الأنتروبولوجيا البنيوية**، ج1، ترجمة مصطفى صالح، ، دمشق ـ سوريا، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي.

12- ليفي ستروس كلود (1983): **الأنثروبولوجيا البنيوية**، ج2، ترجمة، مصطفى صالح، ، دمشق ـ سوريا، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي.

13- ليفي شتراوس كلود (1995)، **الإناسة البنيانية**، ط1، ترجمة حسن قبيسي، الدار البيضاء ـ المغرب، المركز الثقافي العربي.

14- ليفي شتراوس كلود (2003)، **مداريات حزينة**، ط3، ترجمة، محمد صبح، دمشق ـ سوريا، دار كنعان للدراسات والنشر.

15- ليفي شتراوس كلود(د ـ ت)، **العرق والتاريخ**، ترجمة، سليم حداد، بيروت ـ لبنان، مجد المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

16- Lévi-Strauss Claude (1955), **anthropologie structurale**, Paris, Éd Plon.

17- Lévi-Strauss Claude (2011), **L'anthropologie face aux problèmes du monde moderne**, Paris, Seuil.

18- عز الدين عناية، **كلود ليفي ستروس نقض الاستعلاء الغربي**، صحيفة الاتحاد، الملحق الثقافي، الصادرة يوم، 21فبراير2018، النسخة الإليكترونية، الموقع الرسمي للجريدة (https://www.alittihad.ae/article/13071/2018/).